الطبري

حياته ومنهجيته في التفسير

من إعداد:

صلاح الدين الحسناوي

شبكة الألوكة
www.alukah.net

جامعة: أبي شُعيب الدكالي .

مدينة: الجديدة بالمملكة المغربية .

شعبة: الدراسات الإسلامية.

مادة: التفسير.

شبكة الألوكة
www.alukah.net

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونعُوذ بالله من شُرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يُضلل فلا هاديَ له وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحدَهُ لا شريك له وأن مُحمدا ﷺ عبْدُه ورسول بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة فكشف الله به الغُمة وجاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين من ربه ، ثم أما بعد :

إن الله لما أنزل كتابه الحكيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه جعل حفظَه موكلا له سبحانه وتعالى بخلاف الكتُب السماوية الأخرى فإن الله قد وَكَّلَ حفظ التوراة لليهود وحفظ الإنجيل للنصارى ، فقال تعالى { إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ} ، فلما كان هذا حالُهم زاغوا وحادوا عن الطريق الصحيح ، وكان من بين زيغانهم التفسير المغلوط للنصوص وتأويلُها على غير ما تحتمل ليرضوا أهواءهم وقد قص الله علينا ما كان من شأنهم فقال جل في عُلاه { أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ } ،وقال تعالى{ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ} فهذه الآيات ومثلُها في القرآن تقص علينا ما كان يفعلُه اليهود بكتابهم والنصارى كذلك فإنهم قد حرفوا وتأولوا النصوص على غير ظاهرها حتى يضلوا الناس ويجعلونهم يمشون حسب ما تأوله كهنة اليهود وسَدَنتُهم ،

وبما أن شريعة الإسلام وصلت إلى المُنتهى بخاتم النبيئين وسيدِ المُرسلين محمد ﷺ كان لابد من تسييج هذا الدين وحفظه حفظا تاما حتى لا ينحرف ولا يزيغ أصحابه ، فلذلك وكل الله حفظ هذا الدين له وحفظ كتابه له ، فأما حفظ الكتاب وهو المنشود في هذا البحث فهو كما قال العلامة المُفسر أبو المظفر السمعاني "***أنه يمنع من الزِّيَادَة فِيهِ أَو النُّقْصَان عَنهُ***"[1] ، وكذا قال الأصولي أبو القاسم بن جزي الكلبي أن المقصود بحفظ القرآن هو " ***حراسته عن التبديل والتغيير، كما جرى في غيره من الكتب، فتولى الله حفظ القرآن، فلم يقدر أحد على الزيادة فيه ولا النقصان منه، ولا تبديله بخلاف غيره من الكتب، فإن حفظها موكول إلى أهلها*** "[2]، فإذا ثبت هذا في الأذهان فليعلم القاصي الداني بأن من وسائل حفظ الله لكتابه العزيز " التفسير " ، فهذا الأخير هو وسيلة فعالة من وسائل صيانة كتاب الله من تأويله تأويلا معوجا لا يحتمله ، أو تفسيره تفسيرا مذهبيا

---

[1] – تفسير القرآن – لأبي المظفر السمعاني ، طبعة : دار الوطن الرياض – السعودية مجلد 3 ص 131 .

[2] – التسهيل لعُلوم التنزيل – أبو القاسم، محمد بن أحمد ابن جزي الكلبي الغرناطي (المتوفى: 741هـ) ط : شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت ، مجلد الأول ص 416

شبكة الألوكة www.alukah.net

يوافق هواه أو مذهبَهُ ، وكما جاء في الحديث الصحيح أن النبي ﷺ قال " «***يَحْمِلُ هَذَا الْعِلْمَ مِنْ كُلِّ خَلَفٍ عُدُولُهُ ، يَنْفُونَ عَنْهُ انْتِحَالَ الْمُبْطِلِينَ ، وَتَأْوِيلَ الْجَاهِلِينَ ، وَتَحْرِيفَ الْغَالِينَ***» [3].

فكان أهل التفسير الذين اعتنوا بمعاني القرآن من حفظة هذا الدين وحفظُ القرآن من حفظ الدين ، ووسيلَة التفسير هذه بان فضلها في الروايات ، التي اعتنت بنقل معاني الآيات واختلاف الصحابة في تفسيراها أو إجماعُهم على تفسيرها ، أو الروايات المسندة إلى النبي ﷺ، بل واعتنت كذلك بذكر الروايات الضعيفة والموضوعة سواءٌ المنسوبة للنبي ﷺ أو المنسُوبة إلى الصحابة أو إلى التابعين ، والمُؤاخذ عن أصحاب هذا المنهج في التفسير أنهم لا يبينون علل الروايات الضعيفة والسقيمة ولا يبينون الصحيح من الضعيف ، وتركوا رويبضة هذه القرون الأخيرة يطعنون في التفاسير بل ويطعنون في القرآن من خلال بعض الروايات التي سطرها أهل النقل في تفسيرهم كتفسير الطبري مثلا وهذا الأمر سوف أبسط الكلام فيه عندما أتناول منهجية الطبري في تفسيره وكيف أن الناس أخطؤوا لما انتقدوا الإمام محمد بن جرير الطبري رحمه الله .

وكما قلنا فإن التفسير هو وسيلة من وسائل حفظ كتاب الله من التغيير والتبديل ، وفي هذا المقام لابد أن نشير إلى الأحاديث و الآثار و الأخبار الصحيحَة ، إذ قد عدَّ كثير من أهل العلم أن الحديث داخل في الذكر لأنه يفسر القرآن وقد قال جل وعلا لنبيه ﷺ " وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ " ، وقال تعالى " وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا " ، فعدوا الروايات المفسرة من الذكر الذي توكل الله بحفظه وقد روى الخطيب البغدادي وغيره عَنْ حَسَّانَ بْنِ عَطِيَّةَ، قَالَ: «***كَانَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَنْزِلُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالسُّنَّةِ كَمَا يَنْزِلُ عَلَيْهِ بِالْقُرْآنِ، وَيُعَلِّمُهُ إِيَّاهَا كَمَا يُعَلِّمُهُ الْقُرْآنَ***» [4] ، وهو حديث صحيح الإسناد إلى

---

[3] – حديث صحيح – افتتح به محمد بن وضاح عالم الأندلس كتابه المسمى ب " البدع " حديث رقم 1 و 2 مُرسلا عن إبراهيم بن عبد الرحمن العُذري ولكن في طريق آخر في " عن الشيوخ الثقات لإبراهيم بن عبد الرحمن ، ورواه البزار في مسنده المسمى " البحر الزخار " مدبجا عن أبي هريرة وعبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهم حديث رقم 9423 ، وكذا الإمام الأجُرِّيّ في " الشريعة " مجلد 1 ص 268 ط : دار الوطن – الرياض / السعودية ، وابن بطة في الإبانة حديث رقم 33 طبعة مؤسسة الرسالة – بيروت ، وتمَّام الرازي في " الفوائد " حديث رقم 899 ، والبيهقي في السنن الكبرى حديث رقم 20911 ، وقد سأل " مهْنأُ " الإمام أحمد بن حنبل فقال " حديث معان بن رفاعة كأنه كلام موضوع؟ قال: لا بل هو صحيح. " لسان الميزان – لابن حجر العسقلاني – رقم الترجمة 192 ، مجلد 1 ص 312 " و في " مختصر تاريخ دمشق " لابن منظور مجلد 4 ص 78 .

[4] – رواه الدارمي في سننه حديث رقم 608وقد عجبت للمحق الفاضل على سنن الدارمي كيف ضعف هذا الحديث ونسب الضعف محمد بن كثير – 200 هـ – وهو محمد بن كثير بن أبي عطاء الثقفي المصيصي ، وقد ضعفه أهل الحديث وأكثر من تكلم فيه جرحه ولكن بعضهم وثقه ، كيحيى بن معين الذي مرة قال أنه صدوق ومرة وثقه ، ووثقه الحسن بن الربيع وذكره ابن حبان في الثقات ، ووثقه كذلك ابن سعد ، وحتى إن سلمنا بضعف محمد بن كثير كان يجب على المحقق الفاضل أن يذكر طرق الرواية الأخرى الصحيحة ، والحديث صحيح بطرقه ومحمد بن كثير مُتابع على هذه الرواية فلا تَضُرها ضعفَه إطلاقا ، وممن تابعه روحُ بنُ عُبادة بن العلاء أبو محمد البصري الثقة الإمام الحافظ المصنف الكبير – 205 هـ – وهذا الطريق ورد عند أبي داوود في " المراسيل حديث رقم 536 ، وتابعه على

شبكة الألوكة www.alukah.net

حسان بن عطية وروي من طرق كثيرة جدا - بعضها أكثرها صحيحه - ما استطعت لها حصرا ولا عدا ربحاً للوقت ، فلتفسير المأثور إذن أهمية بالغة جدا سواء في بيان معاني الآيات أو في حفظ النص القرآني الذي نقله رواة التفسير كما هو ، ومن هنا يبزغ رواد جُدد في هذا المجال فأجادوا وجمعوا منه الأطنان والأرطال كيف ما كانت هذه المجموعات صحيحة أم سقيمة ، لأن غايتَهم جمع كلِّ ما يرتبط بتفسير كل آية كيفما كانت وتدوينُها بالإسناد وهذا طابع يلتمسه الطالب الحثيث في كتب التفسير التي اعتنت بالتفسير بالمأثور حيث لا يميزون بين صحيح الآثار من ضعيفها إلا في بعض المواضع فقط .

من أجل ذلك وجب أن نأخذ عينة من هذه التفاسير القيمة ونحاول أن ندرسها دراسة منهجية تخول للطالب الباحث معرفة طرق هؤلاء المفسرين الذين اعتنوا بالمأثور ، وهذه العينة التي وطنت نفسي على أن أتكلم عنها هو الطبري رحمه الله ومنهجيتُه في تفسيره المُسمى" **جامع البيان في تأويل القرآن** "وما رأيه في كل ما أورده في تفسيره من ضعيف وموضوع؟ وهل اشترط الصحيح في تفسيره ؟ ولماذا سطر تلك الروايات الهالكة رغم أنه يعرف بأنها روايات باطلة وموضوعة ، بل إن الطبري له باع في نقد الرجال .؟

هذه الأسئلة وغيرها سيتم الإجابة عليها في هذا البحث اعتمادا على مصادر لأهل العلم الذين تخصصوا في دراسة الطبري سواء الحياة والمنهجية التي يتبعها في تفسيره ، لذلك قررت تقسيم هذا البحث إلى :

1. الطبري : حياته من المهد إلى اللحد .
2. الطبري : منهجيته في التفسير .

صلاح الدين الحسناوي

هذا الحديث أيضا عن عيسى بن يونس بن أبي إسحاق السبيعى الكُوفي العالم الحافظ الثقة المأمون وثد أثنى عليه الحافظ ابنُ قايْماز الذهبي فقال " الإِمَامُ، القُدْوَةُ، الحَافِظُ، الحُجَّةُ " { النبلاء 8 / 489 } ، وتابعه عليه أيضا إبراهيم بن محمد بن الحارث الفزاري الكوفي الإمام الثقة الحافظ أحد الأعلام قال عنه ابن حبان رحمه الله "كان من الفقهاء والعباد والحفاظ والزهاد ممن عنى بالعلم ولزم الورع والحلم ورابط بالثغر إلى أن مات " { مشاهير علماء الأمصار – 289 } .. قد تابعه غير واحد من كبار الحفاظ فالحديث صحيح ولا غبار عليه ، ورواه المروزي في السنة حديث رقم 102 ، وغيرهم بسند صحيح .

شبكة الألوكة www.alukah.net

(1) الطبري: حياته من المهد إلى اللحد .

هو أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير الطبري الإِمَامُ، العَلَمُ، المجتهدُ، عَالِمُ العَصر، أَبُو جَعْفَرٍ الطَّبَرِيّ، صَاحِبُ التَّصَانِيْفِ البَدِيْعَة، مِنْ أَهْلِ آمُل طَبَرِسْتَان [5] ، وهى كلمة مؤلفة من مقطعين «طبر» آلة من آلات الحرب التى اشتهرت بصنعها المنطقة و «ستان» معناها أرض أو منطقة، أو بلاد مثل «كردستان»- أفغانستان.(أى بلاد الكرد وبلاد الأفغان). فنسب إلى المقطع الأول «الطبرى» واشتهر به .. كان مولده سنة أَربع أَو خمس وَعشْرين وَمِائَتَيْنِ [6] ، أي في القرن الثالث الهجري ولم يجزم أحد من المؤرخين بزمن ولادته وإنما هذه احتمالات لا أقل ولا أكثر لكن الأرجح أن الطبري رحمه الله كان هذا هو عصر ولادته ، ولما بحثت عن مرجع يتحدث عن هذا الأمر وجدت أن أحد تلامذته وهو القاضي الكبير أحمد بن كامل [7] سأله عن سبب الشك في سنة مولده فقال له : كان أهل بلادنا يؤرخون بالأحداث دون السنين فأُرِّخ مولدي بحادث كان بالبلد ، فلما نشأت سألت عن ذلك الحادث فاختلف المخبرون قال بعضُهم كان ذلك في آخر سنة أربع وعشرين ومائتين وقال آخرون بل كان ذلك في سنة خمس وعشرين ومَائتين - 225 - [8] ، وقد تفرَّس في النَّباهة والعلم والذكاء واسْتأسَد هذا العالِم الجليل في هذه الحقبة الذهبية التي ساعدته ورغَّبته في طلب العلم، يقول علي الشبل " *عاش الإمام أبو جعفر بن جرير في القرن الثالث الهجري وهو أزهى العُصور العلمية اهتماما بتدوين العلم ونشره ، والإقبال الكبير عليه من المسلمين* " [9] ،كيف لا يكون هذا وقد رُوِي في الصحيح عن عمران بن حصين وأبي هريرة وعبد الله بنِ مَوْلَةَ أن النبي ﷺ قال «خَيْرُ أُمَّتِي قَرْنِي ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ، ثُمَّ يَجِيءُ قَوْمٌ تَسْبِقُ أَيْمَانُهُمْ شَهَادَتَهُمْ ، وَيَشْهَدُونَ قَبْلَ أَنْ يُسْتَشْهَدُوا» [10] ،فكان

---

[5] – سير أعلام النُبلاء – للحافظ الذهبي ، ط : مؤسسة الرسالة ، الطبعة الثالثة ، مجلد 14 ص 267 .

[6] – طبقات الشافعية الكبرى – لتاج الدين السبكي ، ط : هجر للطباعة والنشر والتوزيع ، مجلد 3 ص 120 .

[7] – أحمد بن كامل بن خلف بن شجرة بن منصور القاضي، الشجري، البغدادي = وهو أحد أصحاب محمد بن جرير الطبري [إرشاد الأريب – لابن الرومي المتوفى: 626هـ ، 1 / 420] ، قال السمعاني: كان عالماً بالأحكام، والقرآن، وأيام الناس، والأدب، والتواريخ، وله فيها مصنفات [الطبقات السنية – لتقي الدين التميمي المتوفى: 1010هـ ص 125] ، وقال الذهبي = تقلَّد قضاء الكوفة من قبل أَبِي عُمَر محمد بْن يوسف القاضي [تاريخ الإسلام – للذهبي ، المتوفى: 748هـ 7 /885] ، توفي في شهر محرم من يوم الأربعاء لثمان خلون من المحرم سنة خمسين وثلاثمائة، ودفن في يومه [إنباه الرواة على أنباه النحاة – لجمال الدين القفطي المتوفى: 646هـ ، 1/ 133] .

[8] – القراءات التي أنكرها ابن جرير الطبري [رسالة ماجستير] – لمحمد عارف الهرْدي 1406هـ ، الطبعة الأولى ، ص 32 ، ومعجم الأدباء – 18 / 40 .

[9] – إمام المفسرين والمحدثين والمؤرخين أبو جعفر محمد بن جرير الطبري – لعلي بن هبد العزيز الشبل ط : مكتبة الرشد ، ص 9 .

[10] – رواه البخاري في الجامع الصحيح حديث رقم = 3650 ، والإمام أحمد في المسند بسند صحيح حديث رقم = 22960 ، والخطيب البغدَادي في الكفاية ، باب = بَابُ مَا جَاءَ فِي تَعْدِيلِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِلصَّحَابَةِ ، ط : المكتبة العلمية بالمدينة المنورة ، ص 47 ... الخ .

شبكة الألوكة www.alukah.net

الطبري من القرن الثالث ، فطاف البلدان طلبا للعلم وسمع ببلده وبلاد الأعاجم والعراق والشام ومصر والحجاز الجمّ الغفير، واستوطن بغداد [11] ، وحفظ القرآن صغيرا وكان ذا نباهة وورع وذكاء [12] تنبه له من أخذ عنهم العلم بكل فنونه فقال رحمه الله : حفظت القرآن ولي سبع سنين، وصليت بالناس وأنا ابن ثماني سنين، وكتبت الحديث وأنا ابن تسع سنين – وقال بأن أباه رأى رؤيا فقال : ورأى لي أبي في النوم أنني بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان معي مخلاة مملوءة حجارة وأنا أرمي بين يديه، فقال له المعبر: إنه لما يكبر نصح في دينه وذبّ عن شريعته، فحرص أبي على معونتي على طلب العلم وأنا حينئذ صبي صغير [13] ، فهذه الرؤيا جعلت أباه يصرف عنه الغالي والنفيس ، ويذكر عن نفسه هذه النشأة الجادة في التحصيل والطلب فقال كنا نمضي إلى محمد الدولابي ندرس عليه التاريخ وكان في قرية من قُرى الري ثم نرجع نعدو مسرعين كالمجانين لنلحق بدرس محمد بن حميد الرازي في إملاء الحديث حتى ذُكر أنه كتب عنه أكثر من مائة ألف حديث ودرس عليه التفسير ودرس على أبي مقاتل فقه الري [14] ، فرحل عن بلده في طلب العلم وهو ابن اثنتي عشرة سنة [15] ، وقيل بعد ستة عشر سنة [16] ، وخلال هذه الرحلة في الطلب صادفته مشاكل كثيرة منها الفتنة التي وقعت له لما ترك مدينة " آمل - بطبرستان "كان أبُوه ينفُذُ إليه بالمال ليعينه على طلب العلم فقال الطبري رحمه الله : أَبْطَأت عَنى نَفَقَة والدى واضطررت إِلَى أَن فتقت كمي الْقَمِيص فبعتها [17] ، وكذلك عندما دخوله رحمه الله إلى بغداد خلال رحلته أخذ معه بضاعة يتقوت منها وعند دخوله لبغداد سرقوها منه فاضطر إلى بيع ثيابه وقميصه وقد عُرض عليه تأديب ابن الزير فقبل ذلك بثمن ، فكان الجواري والعبيد يعطونه الدنانير فأبى أخذها وقال قد شورطت على شيء، وما هذا لي بحق [18] ، وعندما بلغ الطبري من الكبر ما بلغ كان ذا رأي يحتكم عنده ويرجع إليه ويقف عنده أهل العلم ، قال الخطيب البغدادي : وكان قد جمع من العلوم ما لم يشاركه فيه أحد من أهل عصره، وكان حافظا لكتاب الله، عارفا بالقراءات، بصيرا بالمعاني، فقيها في أحكام القرآن، عالما بالسنن وطرقها، وصحيحها وسقيمها، وناسخها ومنسوخها، عارفا بأقوال الصحابة والتابعين،

---

[11] – إنباه الرواة على أنباه النحاة – لجمال الدين القفطي ، ط : دار الفكر العربي – القاهرة، ومؤسسة الكتب الثقافية – بيروت ، مجلد 3 ص89 .

[12] – سير أعلام النُبلاء – للحافظ الذهبي ، مجلد 14 ص 267 .

[13] – إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب – لشهاب الدين الرومي ، ط : دار الغرب الإسلامي، بيروت ، مجلد 6 ص 2664 الراوي رقم 1010 .

[14] – الإمام الطبري – لعلي الشبل ، ط : مكتبة الرشد ، ص16 .

[15] – الشفاعة في الحديث النبوي – رسالة ماجستير لأبو ذر عبد الرزاق المحمدي ، ط : دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ، ص 292 .

[16] – الإمام الطبري – لعلي الشبل ، ط : مكتبة الرشد ، ص16 .

[17] – طبقات الشافعية الكبرى – لتاج الدين السبكي ، مجلد 3 ص 125 .

[18] – مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر – لابن منظور الإفريقي ، ط : دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، دمشق – سوريا مجلد 22 ص 60 .

شبكة الألوكة www.alukah.net

ومن بعدهم من الخالفين في الأحكام، ومسائل الحلال والحرام، عارفا بأيام الناس وأخبارهم [19] ، وأكثر من الشيوخ حتى حَصَّل كثيرا من العلم، وأكثَرَ من محمد بن حميد الرازي ومن المثنى بن إبراهيم وغيرهما [20] ، فهذا هو الإمام الورع أبو جعفر الطبري الذي قال فيه ابن دُرَيْد :

لَوْ تَعْلَمُ الأَرْضُ مَنْ وَارَتْ لَقَدْ خَشَعَتْ ... أَقْطَارُهَا لَكَ إجلاَلاً وَتَرْحِيبَا [21]

وكما قلت سابقا أن الإمام الطبري نبغ في عصر تقدس فيه الطلب وهيِّئت له أسبابُه وفيه أيضا قامت سوق الورَّاقين والنُّساخ وأصحاب التَّفنُّن في رسم المصحف والخطوط العربية بشتَّى أنواعها وأصُولها وذاع صيتُ أهلِ العلم في كل الأقطار وامتلأت حلقاتُ الذكر ، وكل هذه الأسباب مرجعُها المساجد إذ في هذا القرن ازدحمت المساجد والجوامع بأهل العلم الأفاضل سواءٌ من أجل نشر العلم أو الذب عنه وكتُبُ أهل الأخبار الذين عُرفوا بالرواية المُسندة طافحة بهذه القصص ، وقد تسمع العجب العجاب عن عدد الطلبة الذين يحضرون في مجالس الذكر أو حلقات العلم ، فلربما يتجاوز عددهم عشرات الآلاف [22] ، ولم تكن رحلاتُ الطلب سهلة أبدا فكم من طلابٍ للعلم قضوا أعمارهم في الرحلة في طلب العلم كالطبري رحمه الله وغيْرِه من طلبة العلم ، يقول عضو مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر عبد المنعم النمر أن الطبري " *عاش فى أزهى عصور الاسلام تقدما وانتاجا على كل المستويات الفكرية. وكان من الطبيعى لإنسان موهوب من صغره، محب للعلم، متفان فيه، كالطبرى .. أن يجد ضالته وغذاءه العقلى فى هذا العصر الذى يعيش فيه، لكن ذلك لم يتم له بسهولة .. فالعواصم الفكرية العلمية التى تزخر بالعلماء كانت بعيدة عن موطنه الأصلى، فكان لا بد له من الارتحال إليها بعد أن درس على علماء منطقته* "[23] .

وهذه الرغبَة في طلب العلم والرحلة التي شمَّر لها ابن جرير رحمه الله جعلته يبقَى أعْزب ، ولم يتزوَّج ، لأنه شُغل بالعلم وشُغف بالمعرفة منذ الصغر إلى نهاية العُمر الذي وصل إلى نحو ست وثمانين سنة ، وكما قال أهل العلم بأن العُزوفَ عن الزواج لا يجوز إذ لا رهبانية في الإسلام كما قال النبي صلى الله عليه وسلم للرهط الثلاثة " وأتزوج النساء " ، وقد بحثت عن سبب عُزوف الطبري في كُتب التاريخ فلم تسعفني هذه الكُتب كما أنها لم تُسعف الدكتور محمد الزحيلي لما قال = " لم تذكر لنا المصادر التاريخية سبب عُزوف الطبري

---

[19] – تاريخ بغداد وذيُوله – ط : دار الكتب العلمية – بيروت ، مجلد 2 ص 159 .

[20] – إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب – لشهاب الدين الرومي ، ط : دار الغرب الإسلامي، بيروت ، مجلد 6 ص 2664 الراوي رقم 1010

[21] – سير أعلام النبلاء– لابن قيْمَاز الذهبي ، 11 / 173 .

[22] – إمام المفسرين والمحدثين والمؤرخين أبو جعفر محمد بن جرير الطبري – لعلي بن هبد العزيز الشبل ط : مكتبة الرشد ، ص 10.

[23] – علم التفسير كيف نشأ وتطور – لعبد المنعم النمر = المتوفى: 1991 م ، ط : دار الكتب الاسلامية – القاهرة ، ص 106

شبكة الألوكة www.alukah.net

عن الزواج وهل كان لعارض جسمي أم لعلة خَلقية ، أم لضائقة ماليَّة "[24] ، والشيء الثابت عند أهل التأريخ أن الطبري رحمه الله كان جَوَّالا رحالة في الطلب ولم يكن يستقر في بلد دون بلد ،والثابت أيضا أنه لم يكن في رحلاته صاحب مال كما سطرت سابقا من أنه كان يبيع كمه ليعيش بثمنه ، وقد كان فقيها صاحب مذهب ربما هذا ما خول له ترك الزواج لأنه لا يحصل البَاءَة بسبب نفقات السفر ونسخ الكُتب وشرائها والله أعلم .

فالعلم يشغل صاحبه ويمنحه متعة نادرة ، ولذة خاصة لا يدركها إلا من يجربها ، وإذا انغمس فيها الإنسان في شبابه خَفَّت عنده الرغبة بالزواج ، وإذا بلغ الكُهولة وتقدم به السن وأَلِفَ العزوبةَ ومجالس العلم زالت عنه الرغبة في الزواج ومتعة الأولاد وخففت عنه تبعاتِها ، ليستأنس بالمعارف والعلوم ويصادق الكتب والمخطوطات والمطالعة والتصنيف فيزداد علمه وإنتاجه وعطاؤه ويعُمَّ نفعه وهذا ما حصل لكثير من علمائنا الكبار كالنووي رحمه الله ، ولله ذرّ قاضي بلاد الري علي بن إسماعيل الجرجاني الأديب الأريب لما قال في إحدى أشعاره :

ما تطعمت لذة العيش حتى ... صرت للبيت والكتاب جليسا

ليس شيء أعز عندي من ... العلم فلم أبتغي سواه أنيسا

إنما الذلّ في مخالطة الناس ... فدعهم وعش عزيزا رئيسا[25]

فهذا العشقُ للطلب أنستِ الإمام الطبري قضية الزواج وأغنته عنه ، حتى قال مسلمةُ بنُ قاسم كان - أي الطبري - حَصُورًا لا يعرف[26] النساء، ورحل من بلده في طلب العلم وهو ابن اثنتي عشرة سنة ست وثلاثين ومائتين، فلم يزل طالباً للعلم مؤلفاً له إلى أن توفي ببغداد [27] .

وفي ثنايا هذه الرحلات وقعت له عجائب يردد قارئُها تسبيح الله على هذه الكرامات التي تحدث لأمثال الطبري وغيره رحمهم الله جميعا من الذين يطلبون ما ورثه الأنبياء ، ولطالب ميراث الأنبياء والعُلماء هيبة وفضائل يتنعم بها أصحابه ، ومن ذلك ما رواه الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد 2 / 548 أن أبا العباس

---

[24]- الإمام الطبري شيخ المفسرين وعمدة المؤرخين – الدكتور محمد الزحيلي ، ط : دار القلم – دمشق ص 32 .

[25]- إرشاد الأريب ، 4 / 1799 ، وفيات الأعيان – للمؤرخ شمس الدين بن خَلِّكان أو خُلِّكان أو خِلِّكان[روضات الجنان 1 / 87] و [في التاج 7 / 176 = خلكان بكسر فتشديد اللام المكسورة] توفي في 681 هـ ، ط / دار صادر 3 / 280 .

[26]- هذه القول أورده أبو الفداء بن قُطْلُوْبَغَا السُّوْدُوْنِي – نسبة إلى معتق أبيه سودون الشيخوني – توفي سنة 879 هـ ،في " الثقات ممن لم يقع في الكتب الستة " ط : مركز النعمان للبحوث – صنعاء = اليمن ، 8 / 216 .. بلفظ " لا يقرب " .. وفي معجم شيوخ الطبري لأكرم الأثري ص 49 بلفظ " لا يعرف " ، وفي لسان الميزان لابن حجر العسقلاني 7 / 25 بلفظ " لا يقرف " .

[27]- أبو الفداء بن قُطْلُوْبَغَا السُّوْدُوْنِي – نسبة إلى معتق أبيه سودون الشيخوني – توفي سنة 879 هـ ،في " الثقات ممن لم يقع في الكتب الستة " ط : مركز النعمان للبحوث – صنعاء = اليمن ، 8 / 216 .

شبكة الألوكة www.alukah.net

البكري من ولد أبي بكر الصديق، يقول: جمعت الرحلة بين **محمد بن جرير**، و**محمد بن إسحاق بن خزيمة**، و**محمد بن نصر المروزي**، و**محمد بن هارون الروياني** بمصر، فأرملوا ولم يبق عندهم ما يقوتهم، وأضر بهم الجوع، فاجتمعوا ليلة في منزل كانوا يأوون إليه، فاتفق رأيهم على أن يستهموا ويضربوا القرعة، فمن خرجت عليه القرعة سأل لأصحابه الطعام، فخرجت القرعة على **محمد بن إسحاق بن خزيمة**، فقال: لأصحابه أمهلوني حتى أتوضأ وأصلي صلاة الخيرة، قَالَ: فاندفع في الصلاة فإذا هم بالشموع وخِصِي من قبل والي مصر يدق الباب، ففتحوا الباب فنزل عن دابته، فقال: أيكم **محمد بن نصر**؟ فقيل: هو هذا.

فأخرج صرة فيها خمسون دينارا فدفعها إليه، ثم قَالَ: أيكم **محمد بن جرير**؟ فقالوا: هو ذا فأخرج صرة فيها خمسون دينارا فدفعها إليه، ثم قَالَ: أيكم **محمد بن هارون**؟ فقالوا: هو ذا فأخرج صرة فيها خمسون دينارا فدفعها إليه، ثم قَالَ: أيكم **محمد بن إسحاق بن خزيمة**؟ فقالوا: هو ذا يصلي، فلما فرغ دفع إليه الصرة، وفيها خمسون دينارا، ثم قَالَ: إن الأمير كان قائلا بالأمس فرأى في المنام خيالا قَالَ: إن **المحامد** طووا كشحهم جياعا، فأعطيكم هذه الصرار، وأقسم عليكم إذا نفدت فابعثوا إلي أمدكم.

وترحال الطبري رحمه الله لم يذهب سدى ، بل كان الطبري رحمه الله صاحبُ ذكاء وحفظ واجتمعت فيه أسبابُ التحصيل التام للعلم التي نظمها الشافعي بقوله :

أخي لن تنال العلم إلا بستة ... سأنبئك عن تفصيلها ببيانِ

ذكاءٌ، وحرصٌ، واجتهادٌ وبلغةٌ ... وصحبةِ أستاذ ، وطولِ زمانِ

والمتتبع لحياة هذا الإمام الجليل الكبير يعرف بأنه حصَّل كل هذه الصفات ، ومن شواهد كلامي هذا أنه حفظَ للقرآن صغيرا وهو ابن سبع سنين وأم بالناس وعمره ثمان ، كتب الحديث وعمره تسع .. وبرزت هذه الصفات أكثر لما جلس أمام أهل العلم الكبار في زمانه كالحافظ أبي كريب الهمذاني محمد بن علاء وهو من كبار الآخذين عن تبع أتباع التابعين المتوفى سنة 247 هـ ، فحدث له مع أقرانه أن شيخه أبي كريب اختبرهم في حفظ ما القاه عليهم ولم يجد فيهم من يحفظه إلا الحافظ ابن جرير فكان أن قربهُ وأدخله داره من بينهم ، وكان عُمره آنذاك في حدود العشرين سنة [28] ، وكذلك ما ذكرهُ الذهبي في تذكرةِ الحُفاظ من أن غُلام لابن المُزَوَّقِ قال : اشترى مولاي جارية فزوجنيها فأحببتها وأبغضتني فقلت لها: أنت طالق ثلاثا لا تخاطبيني بشيء إلا قلت لك مثله فكم احتملتك؟ فقالت في الحال: أنت طالق ثلاثا، فأبلست فدللت على ابن جرير، فقال: أقم معها بعد أن تقول: أنت طالق ثلاثا إن طلقتك [29] ، ومن نباهته وذكاءه تحصيلُه لعلم العروض في ليلة واحدة

---

[28] – الإمام الطبري – لعلي الشبل ، ط : مكتبة الرشد ، 39 – 40 .

[29] – تذكرة الحُفاظ – شمس الدين بن قايْماز الذهبي ، ط : دار الكتب العلمية بيروت–لبنان مجلد ص 203 .

شبكة الألوكة www.alukah.net

فقط فيقول الإمام ابن جرير على هذا الأمر " أمسيت غير عروضي وأصبحت عروضيا " وقصة ذلك ذكرها علي الشبل في كتابه الإمام الطبري فقال " وذلك لما دخل مصر ومساءلةُ العلماء كلٌّ في فنه الذي يجيده فكان يُجيبهم كلهم حتى جاءه رجل فسأله عن العروض فواعده غدا ثم أتقنه في ليلة " ، وفي هذا يقول تلميذه عبد العزيز بن محمد الطبري في كتابه الذي جمع فيه أخبار شيخه ونقل منه ياقوت في معجمه = كان أبو جعفر من الفضل والعلم والذكاء والحفظ على ما لا يَجَهُلُه أحد عرفه لأنه جمع من علوم الإسلام ما لا نعلمه اجتمع لأحد من هذه الأمة ولا ظهر من كتب المصنفين وانتشر من كتب المؤلفين ما انتشر له [30] .

فهذه الرحلات وغيرها تزيد حال عيش الطبري رحمه الله من أجل تحصيل العلوم الشرعية خصوصا وأن الرحلة في طلب العلم وسماع العلماء والرواية عنهم عن الأكابر ميزة علماء ذلك العهد إذ لما يعود الطالب من رحلته في الطلب يستقبلونه كالعريس ولربما تقول كملك من الملوك وكأنه شيء ملائكي نزل من السماء إلى الأرض كما حدث مع الإمام البخاري والشافعي والإمام أحمد .. وإمامنا ابن جرير كان ممن سار على هذا الطريق فرحل إلى بلاد الري ثم عرج بوجهه شطر بغداد ليلقى إمامَ السنة أحمد بن حنبل ولكن قبل وصوله بلغه أنه قد مات فواصل بعزمه ودفع بنفسه لمواصلة الرحلة فوصل إلى بغداد ولقي بقيةَ حُفاظ أهل العلم في العراق ، فأدرك محمد بن بشار المعروف ببُنْدار ، وإسماعيل بن محمد السُّدَّي ، وهنَّاد بن السَّري ، ومحمد بن المثنى ، والصنعاني وغيرُهم .

ثم قصد الشام فلقي ببيروت الإمام المُقرئ العباسُ بن ُ الوليد البيْروتي فأخذ عنه قراءة الشاميين .

وتوجه إلى مصر سنة ثلاث وخمسين ومائتين هجرية ، فخرج منها وعاد مرة أخرى سنة ست وخمسين ومائتين فأخذ فقه الشافعي عن تلميذه الربيع بن سليمان والإمام المُزني .

ثم رجع بعدها إلى بغداد وبعد ذلك بأيام عاد إلى بلاده طُبرستان .

ثم عاد بعد ذلك إلى بغداد ولم يلبث فيها ، ثم عاد لبلاده للمرة الثانية ، لكنه لم يوفق في البقاء في بلاده بسبب تأليفه لكتاب فضائل الشيخين أبو بكر وعمر وقد ألفه إمامنا الطبري رحمه الله بعد رجوعه من بغداد لما وجد بعض من يسب الشيخين ويتطاول عنهما فأملى هذا الكتاب ، فتنبه الوالي له فاستدعاه ليحضر عنده ففر أبو جعفر إلى بغداد سنة تسعين ومائتين هجرية ليستقر بها وعُمُرُه ستون سنة إلى أن توفاه الله [31] .

---

[30] – الإمام الطبري – لعلي الشبل ، ط : مكتبة الرشد ، 40 .

[31] – الإمام الطبري – لعلي الشبل ، ط : مكتبة الرشد ، ص112 ،.

شبكة الألوكة www.alukah.net

فلما حضرته الوفاة أسلم روحه يوم السبت بالعشي ودفن في يوم الأحد بالغداة في داره لأربع بقين من شوال سنة عشْرٍ وثلاثمائة [32] ، وَقَالَ ابْن كَامِل توفى عَشِيَّة الْأَحَد ليومين بقيا من شَوَّال سنة عشر وثلاثمائة وَدفن فى دَاره بِرَحْبَة يَعْقُوب وَكَانَ السوَاد فى رَأسه ولحيته كثيرا وَكَانَ أسمر إِلَى الأدمة أعْيَن نحيف الْجِسْم مديد الْقَامَة فصيحا وَاجْتمعَ عَلَيْهِ من لَا يُحْصِيه إِلَى الله تَعَالَى وَصلى الناس على قَبره عدَّة شهور لَيْلًا وَنَهَارًا [33] ، فلما توفي رحمه الله رثاهُ جماعة من أهل العلم منهم ابن الأعرابي حيث يقول :

حَدَثٌ مُفْظِعٌ وَخَطْبٌ جَلِيلٌ * دَقَّ عَنِ مِثْلِهِ اصْطِبَارُ الصَّبُورِ

قَامَ نَاعِي الْعُلُومِ أَجْمَعَ لَمَّا * قَامَ نَاعِي مُحَمَّدِ بْنِ جَرِيرِ

يَا أَبَا جَعْفَرٍ مَضَيْتَ حَمِيدًا * غَيْرَ وانٍ فِي الْجِدِّ وَالتَّشْمِيرِ

بَيْنَ أَجْرٍ عَلَى اجْتِهَادِكَ مَوْفُو * رٍ وَسَعْيٍ إِلَى التُّقَى مَشْكُورِ

مُسْتَحِقًّا بِهِ الْخُلُودَ لَدَى جَنَّ * ةِ عَدْنٍ فِي غبطة وسرور [34]

ورثَاهُ محمد بن الحسن بن دريد فقال :

لَنْ تَسْتَطِيْعَ لأَمْرِ اللهِ تَعْقِيْبَا ... فَاسْتَنْجِدِ الصَّبْرَ أَوْ فَاسْتَشْعِرِ الحُوْبَا

وَافْزَعْ إِلَى كَنَفِ التَّسْلِيمِ وَارْضَ بِمَا ... قَضَى المُهَيْمِنُ مَكْرُوْهَا وَمَحْبُوبَا

إِنَّ الرزية لا وفر تزعزعه ... أيدي الحوادث تشتيتًا وتشذيبا

لَكِنَّ فِقْدَانَ مَنْ أَضحَى بِمَصْرَعِهِ ... نُوْرُ الهُدَى وَبَهَاءُ العِلْمِ مَسْلُوْبَا

أَهْدَى الرَّدَى للثَّرَى إِذْ نَالَ مُهْجَتَهُ ... نَجْماً عَلَى مَنْ يُعَادِي الحَقَّ مَصْبُوبَا

وَدت بقَاعُ بلادِ اللهِ لَوْ جُعِلَت ... قَبْرا لهُ فَحَبَاها جِسْمُه طِيبا

إِنّ المِنيَّة لم تُتْلِفْ بهِ رَجُلًا ... بَلْ أَتْلَفَتْ عَلَمًا للدِّين مَنْصُوبًا

كَانَ الزَّمانُ بهِ تصفو مَشَارِبُهُ ... والآنَ أصبحَ بالتَّكْدِيرِ مَقْطُوبًا

---

[32] – تاريخ دمشق – لابن عساكر 571 هـ ، ط / دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، مجلد 52 ص 204 .

[33] – طبقات الشافعية – تاج الدين السُّبكي 771 هـ ، ط : هجر للطباعة والنشر والتوزيع ، مجلد 3 ص 126 .

[34] – البداية والنهاية – لابن كثير الدمشقي 774 هـ ط / دار إحياء التُّراث ، مجلد 11 ص 167 .

شبكة الألوكة www.alukah.net

كَلَّا وأَيَّامُهُ الغُرُّ الّتي جُعِلَتْ ... لِلْعِلْمِ نورًا وللتقْوى مَحَارِيبا

لاَ يَنْسَرِي الدَّهْرُ عَنْ شِبْهٍ لَهُ أَبَداً ... مَا اسْتَوْقَفَ الحَجُّ بِالأَنصَابِ أُرْكُوبَا

إِذَا انتَضَى الرَّأْيَ فِي إِيضَاحِ مُشْكِلَةٍ ... أَعَادَ مَنْهَجَهَا المَطْمُوْسَ مَلْحُوبَا

تَجْلُو مَوَاعِظُهُ رَيْنَ القُلُوبِ كَمَا ... يَجْلُو ضِيَاءَ سَنَا الصُّبْحِ الغَيَاهِيْبَا

لاَ يَأْمَنُ العَجْزَ وَالتَّقْصِيْرَ مَادِحُهُ ... وَلاَ يَخَافُ عَلَى الإِطنَابِ تكذيبا

فانتقل رحمه الله إلى دار القرار وخلف وراه كنزٌ دفين ينفعُه في الدنيا والآخرة هذا وقد قرأت قصةً ذكرها ابن عساكر في تاريخه أنه قرأها بخط ابي محمد بن عبد العزيز بن أحمد مما نقله من كتاب أبي محمد الفرغاني .. ولكن ظاهرها لا ينبئ بالصحة كيف لا وهي معدومة الإسناد والدليل الثاني على عدم صحتها أن أكثَرَ اهل الأخبار لم يذكروا هذه القصة كابن كثير والسبكي والذهبي في السير و العبر في خبر من غبر ، والخطيب البغدادي في تاريخه وابن حجر في اللسان ، ولم يذكرها ابنُ السَّاعي في كتابه الدرُّ الثمين في أسماء المصنفين ، ولم يذكرها ابن أسعد اليافعي في مرآة الجنان ، ولا ابن العماد في شذرات في الذهب .. وسائر أهل الأخبار .

ولربما هذه القصةُ من القصص التي تفرد بها ابن عساكر رحمه الله .

شبكة الألوكة www.alukah.net

مصنفاته:

بينا أن الطبري رحمه الله قضى كل حياته في الطلب واستملاءً من المشايخ ثم تدريسا فتصنيفا وتقيدا ، وقسم وقته إلى أقسام فجعل من وقته قسما للتصنيف والكتابة قال ابن عساكر = سمعت علي بن عبيد الله بن عبد الغفار اللغوي المعروف بالسمساني يحكي: أن محمد بن جرير مكث أربعين سنة يكتب في كل يوم منها أربعين ورقة [35].

ولا يستغرب مثل هذا الكم فإن الله بارك لأولئك العلماء في أوقاتهم وأنسأ في أعمارهم لأن هذا من تمام حفظه للدين كما سطرت في مقدمة هذا البحث ولإقامة الحجة على الناس ولذا كان علماء هذه الأمة كأنبياء بني إسرائيل .. هذا وإن أهم مصنفات ابن جرير رحمه الله تمثلت في الآتي :

1) التفسير الكبير = جامع البيان في تفسير القرآن أو تأويل القرآن أو جامع البيان عن تأويل آي القرآن [36]، يقع في 24 مجلدا .
2) تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك ، ويقع في 11 مُجلد ، طبعة دار التراث - بيروت / وهي الطبعة الثانية سنة 1387 هـ وطبعات أخرى للمستشرقين وطبعته المطبعة الحسينية 1339 هـ ، بدأه بمقدمة استهل فيها بمنهجيته في هذا الكتاب التاريخي ثم دخل مباشرة في " القول في الزمان ما هو " وأنهاه ب " ذكر كنى من شهر بالاسم من الخالفين " ، وهو كتاب مملوء بالأباطيل والروايات الساقطة والضعيفة ، ولكن مع ذلك هناك رواياتُ صحيحة ومنها حسنة ومنها جيدة ، فلابد لقارئ هذا التاريخ أن يكون ذا علم بعلم الحديث ، و يقتني كتاب " صحيح تاريخ الطبري " الذي حققه وأخرج روايته وعلق عليه محمد بن طاهر البرزنجي ، ويقع في 13 مجلد وهو إنجاز تاريخي لم يسبقه أحد بهذا الأمر بإشراف محمد صبحي حسن الحلاق طبعة دار ابن كثير دمشق – بيروت .

---

[35]- تاريخ دمشق – لابن عساكر ، 2 / 548 .

[36]- سيأتي الكلام على هذا التفسير عندما أتكلم عن منهجية الطبري في التفسير .

شبكة الألوكة www.alukah.net

3) تهذيب الآثار = كتاب جليل وللأسف لم يكمله رحمه الله ، وأتم فيه مسند ابي بكر وعمر ومسند آل البيت وابن عباس وعبد الرحمن بن عوف والزبير وعلي رضي الله عنهم ، وقد حقق العلامة محمود شاكر مسند علي وعمر وابن عباس وحقق بعده علي رضا بن علي رضا مسند عبد الرحمن بن عوف والزبير ، وهو ما سمي بالجزء المفقود ، أما المسانيد التي حققها العلامة محمود شاكر فطبعت في مطبعة المدني بالقاهرة ،وأما المسندين الذين حققهما علي رضا فطبعتا في دار المأمون للتراث بدمشق سنة 1416 هـ ، وبعدما ذكر ابن كثير بعض مصنفات شيخ المفسرين ابن جرير رحمه الله قال " ومن أحسن ذلك تهذيب الآثار ولو كمل لما احتيج معه إلى شيء ، ولكان فيه الكفاية لكنه لَمْ يُتِمَّهُ. "[37] .

4) اختلاف الفُقهاء = وهو عبارة عن كتاب ذكر فيه المسائل التي اختلف فيها الفقهاء كالأئمة الثلاثة ولم يكن يعتبر مذهب الإمام أحمد إذ قال أنه محدث وليس بفقيه ، وإذا ذكر قولا في هذا الكتاب استدل له ، وطبع طبعات منها طبعة دار الكتب العلمية في مجلد واحد ،ولربما هذا الكتاب غير مكتمل لأنه قيل أنه وقع في 3000 ورقة والله أعلم .

5) التبصير في معالم الدين = والظاهر من تأليفه كما صرح في مقدمة الكتاب أن أهل طبرستان سألوه كتابا يوضح فيه المسائل التي اختلف فيها الناس بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم وأن بعضهم كفر البعض الآخر ، والبعض الآخر تبرأ ممن خالفهم ، فكتب لهم هذا الكتاب الرائع الماتع ،و طبع في دار العاصمة سنة 1914 هـ في مجلد واحد .

6) صريح السنة = وهو كتاب من رواية وراق الطبري واسمه أَبُو سَعِيدٍ عَمْرُو بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى الدَّيْبَوَرِيُّ ، وفيه تحدث إمام المفسرين عن القرآن وأنه كلام الله وليس بمخلوق ، وتحدث أيضا عن رؤية الله وأنه معتقد أهل السنة والجماعة ، وانتقل للرد على القدرية وبين بأن أفعال العباد سيئة أو حسنة هي من عند الله ، وبسط الأدلة أيضا على تفاضل الصحابة وأيهم أفضل وجاء بأقوال السلف والخلف ، ثم ختم كتابه هذا بالقول في الإيمان هل هو قول وعمل وهل يزيد وينقص أم يزيد ولا ينقص ورد على الفرق المنسبة للإسلام من الذين قالوا أن الإيمان قول ولا عمل وأمه لا يزيد ولا ينقص ، طبع بدار الخلفاء للكتاب الإسلامي – الكويت سنة 1405 ، وحققه بدر يوسف المعتوق .

ونكتفي بهذه المصنفات وإلا فإن مدوناتِه ورسالاته وكتبه فاقت المعقول فمنها ما ضاع ومنها ما وقعنا عليه لأنه من أكثر أهل الإسلام تصنيفًا، فقد ذكر أبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر الفرغاني في كتابه المعروف بالصلة، وهو الذي وصل به تاريخ أبي جعفر الطبري الكبير: أن قومًا من تلاميذ أبي جعفر لخصوا أيام حياته

[37]– البداية والنهاية – لابن كثير ، 11 / 165 .

شبكة الألوكة www.alukah.net

منذ بلغ الحلم إلى أن توفي في سنة 310 وهو ابن ست وثمانين سنة، ثم قسموا عليها أوراق مصنفاته، فصار لكل يوم أربع عشرة ورقة. وهذا لا يتهيأ لمخلوق إلا بكريم عناية الباري تعالى وحسن تأييده له[38].

ثناء العلماء عليه

حظي شيخ المفسرين الطبري رحمه الله بثناء العلماء عليه سواءً القديم منهم والجديد وما ذلك إلا بتوفيق الله له سبحانه وتعالى ثم جده وحرصه على طلب العلم والحديث بما هيأه الله من أسباب النبوغ والورع والذكاء ، ولا تزال أفواه وألسنة أهل العلم والحديث والتفسير تلهج مدحا وثناء على هذا الجبل والدعاء له بالرحمة والمغفرة ، وهذه جملة ممن أثنى عليه الشيخ محمد بن جرير الطبري :

قال ابن الجوزي رحمه الله = قد جمع من العلوم ما ترأس به أهل عصره، وَكَانَ حافظا للقرآن، بصيرا بالمعاني، عالما بالسنن، فقيها في الأحكام، عالما باختلاف العلماء ، خبيرا بأيام الناس وأخبارهم [39].

قال إمام الأئمة ابن خزيمة : ما أعلم على الأرض أعلم من محمد بن جرير، ولقد ظلمته الحنابلة[40].

وقال أبو حفص ابن الوردي : حَافظ للْكتاب الْعَزِيز والقراءات مُجْتَهد لم يُقَلّد أحدا فَقِيه[41] .

وقال ابن كثير الدمشقي : كَانَ مِنَ الْعِبَادَةِ وَالزَّهَادَةِ وَالْوَرَعِ وَالْقِيَامِ فِي الْحَقِّ لَا تأخذه في ذلك لومة لائم، وكان حسن الصوت بالقراءة مع المعرفة التامة بالقراءات عَلَى أَحْسَنِ الصِّفَاتِ، وَكَانَ مِنْ كِبَارِ الصَّالِحِينَ، وهو أحد المحدثين الذي اجتمعوا في مصر في أيام ابن طُولُونَ، وَهُمْ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ خُزَيْمَةَ إمام الأئمة، ومُحَمَّدُ بْنُ نَصْرٍ الْمَرْوَزِيُّ، وَمُحَمَّدُ بْنُ هَارُونَ الروياني، ومحمَّد بن جرير الطبري هذا [42].

---

[38] –المعجب في تلخيص أخبار المغرب – محيي الدين المراكشي 647 هـ ، طبعة المكتبة العصرية سنة 1426 هـ ، ص44 .

[39] – المنتظم في تاريخ الأمم والملوك –لابن الجوزي 597 هـ ، طبعة دار الكتب العلمية ، 13 / 215 .

[40] – العبر في خبر من غبر – لشمس الدين الذهبي 748 هـ ، طبعة دار الكتب العلمية ، 1 / 460 ، ومرآة الجنان وعبرة اليقظان لبن أسعد 768 هـ ط : دار الكتب العلمية – بيروت ، 2 / 195 .

[41] – تاريخ ابن الوردي – أبو حفص ابن الوردي المعري 749 هـ ، ط : دار الكتب العلمية – لينان ، 1 / 249 .

[42] – البداية والنهاية – لابن كثير 774 هـ ، ط : دار إحياء التراث ، 11 / 166 .

شبكة الألوكة www.alukah.net

قال ابن العماد العَكري : كان من أفراد الدّهر علما، وذكاء، وكثرةُ تصانيف، قلّ أن ترى العيون مثله[43] .

قال أبو يعلى الخليلي : أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ جَرِيرِ بْنِ يَزِيدَ الطَّبَرِيُّ أَشْهَرُ مِنْ أَنْ يُذْكَرَ، جَامِعٌ فِي الْعُلُومِ، إِمَامٌ [44].

وقال أبو محمد الفرغانيّ: كَانَ محمد بن جرير ممّن لَا تأخذه فِي اللَّه لَوْمَةُ لائم، مَعَ عظيم ما يلْحقه من الأذى والشّناعات من جاهلٍ وحاسدٍ وملحِد. فأمّا أهلُ الدّين والعِلم فغير منكرين عِلمه وزُهده فِي الدّنيا ورفضِه لها، وقناعته بما كَانَ يرِد عَلَيْهِ من حصّةٍ خلّفها لَهُ أَبُوهُ بطَبَرِسْتان يسيرة [45]

قَالَ أَحْمَدُ بنُ كَامِلٍ القَاضِي: أَرْبَعَةٌ كُنْتُ أُحِبُّ بَقَاءهُم: أَبُو جَعْفَرٍ بنُ جَرِيْرٍ، وَالبَرْبَرِي، وَأَبُو عَبْدِ اللهِ بنُ أَبِي خَيْثَمَةَ، وَالمَعْمَرِيُّ، فَمَا رَأَيْتُ أفهم منهم ولا أحفظ [46].

قال الخطيب البغدادي : كان أحد أئمة العلماء يحكم بقوله، ويرجع إلى رأيه لمعرفته وفضله. وكان قد جمع من العلوم ما لم يشاركه فيه أحد من أهل عصره، وكان حافظا لكتاب الله، عارفا بالقراءات بصيرا بالمعاني، فقيها في أحكام القرآن، عالما بالسنن وطرقها صحيحها وسقيمها وناسخها ومنسوخها، عارفا بأقوال الصحابة والتابعين، ومن بعدهم من الخالفين في الأحكام، ومسائل الحلال والحرام، عارفا بأيام الناس وأخبارهم،... وتفرد بمسائل حفظت عنه [47].

ونكتفي بهذه الأقوال خشية الإطالة لأنه كما قلت سابقا كانت ألسنة أهل العلم ولا زالت تلهج بالثناء عليه رحمه الله رحمة واسعة .

---

[43] – شذرات الذهبي في أخبار من ذهب – لعبد الحي بن العماد الحنبلي 1089 هـ ، طبعة دار ابن كثير سنة 1406 ، 1 / 30 .

[44] – الإرشاد إلى معرفة علماء الحديث – لأبو يعلي الخليلي القزويني 446 هـ ، طبعة مكتبة الرشد – الرياض سنة 1409 ، 2 / 800 .

[45] – تاريخ الإسلام – لابن قيماز الذهبي 748 هـ ، طبعة دار الغرب الإسلامي سنة 2003 ، 7 / 160 .

[46] – سير اعلام النُبلاء – لابن قيماز الذهبي 784 هـ ، ط: دار الحديث سنة 1427 هـ ، 11 / 169 .

[47] - تاريخ بغداد – للخطيب البغدادي 463 هـ ، طبعة دار الغرب الإسلامي ، سنة 1422 ، 2 / 548 .

شبكة الألوكة www.alukah.net

2 . منهجيته في التفسير = من خلال جامع البيان

ومن المسلم به داخل جنان وبساتين الفقهاء والعلماء والبلغاء والفصحاء أن تفسير الطبري المسمى ب= جامع البيان عن تأويل آي القرآن[48] ، هو موسوعة علمية شاملة لاحتوائه على مختلف أصناف العلوم الدينية واللغوية ويَنْذُر في هذا الوقت وهذا العصر وجودُ مثلِ هذا التفسير الكبير ، لذلك بلغ القمة وذاع صيته في كل مَصْر من الأمصار وشمخ في أعلى قمم المفسرين ، ولا يستقيم تفسير مفسر إلا بالرجوع لهذا التفسير العظيم ، وعدد مجلداته تتفاوت بتفاوت الطبعات ، فطبعة مؤسسة الرسالة بتحقيق العلامة محمود شاكر فيها 24 مجلد فقط ، وفي طبعات أخرى يصل إلى 30 مجلد من الحجم الكبير ، وقبل ذلك كان هذا التفسير مفقودا وإلى عهد قريب لم يكن متداولا، حتى عُثر على نسخة كاملة منه فى حيازة «أمير حائل» «حمود بن الأمير عبد الرشيد» من أمراء نجد، من نحو سبعين سنة فطبع عليها الكتاب[49] ، وأنا خلال تجريد الفصول عن هذا التفسير لن أستطيع الإحاطة به إحاطة شمولية ، نظرا لضيق الوقت وعوامل أخرى لن تساعد في الإحاطة الكاملة بهذا التفسير وإنما سأضع رؤوس الأقلام المختزلة لأُكَوّن نظرة مبسطة عن هذا التفسير الكبير الذي كان ولا زال بعض الناس يطعنون فيه لا لغرض ولا لحقد وإنما جهلا بمنهجية الطبري رحمه الله التي اعتمدها في التفسير وقد من الله علي بأن أتكلم عنه وأبين المنهجية التي وطن الطبري نفسَه عليها حتى نقلل نسبة الطعن في هذا الإمام الجليل .

وحقيقة أنا كنت – عن جهل – ممن يعيب على الطبري رغم أنني لست مؤهلا لذلك ولكني كنت أجد في تفاسيره وأنا أبحث عن معاني الآيات بعض الأحاديث والآثار التي تطعن في النبي ﷺ بل وتطعن في القرآن ككتاب منزل من عند الله ، وكنت أقول في نفسي ليت الطبري ألف كتابه على ما صح من الأحاديث والآثار

---

[48] - أورد أهل الأخبار في كتبهم أن الطبري رحمه الله

[49] – التفسير والمفسرون للمرحوم الدكتور الذهبي ص 208 نقلا عن كتاب المذاهب الإسلامية فى التفسير ص 86.

شبكة الألوكة www.alukah.net

أو على الأقل ينبه القارئ على الضعيف من الروايات التي بسطها في تفسيره ، ولا يتركنا في حيرة من أمرنا خصوصا أن في هذه القرون الأخيرة حميت وطأة المستشرقين والمبغضين والطاعنين في القرآن والإسلام والنبي ﷺ ، وفي هذا يقول عبد المنعم النمر " نجد فى تفسير الطبرى وأمثاله من سرد الروايات ولكن لم يكر عليها بالنقد، فترك القراء فى دوامة، ولا سيما من لم تكن عندهم خبرة بالرجال الذين رووا هذه الروايات، وهم الكثرة الغالبة جدا من القراء .. وهذه التفسيرات- فى رأيى- هى التى وضعت حجر الأساس فى نشر الروايات الإسرائيلية والمدسوسة الموضوعة وترويجها فى الأجيال المتعاقبة .. ولا يشفع لهم أنهم ذكروا سند الروايات. فليس كل قارئ لها عليما بأحوال رواتها .. أو غيورا على القرآن والاسلام، يحرص على تنقيتها من الدخيل فيها .. وقد فتح هؤلاء بابا واسعا لمن أتى بعدهم فى الاعتماد على ما تقول هذه الروايات، دون ذكر السند وكأنه قضية مسلمة ولا سيما فى التفاسير الصغيرة، فرأينا الكثيرين ممن اشتغلوا بالتفسير يتوسعون فى سرد هذه الأقوال الإسرائيلية منها وغير الإسرائيلية. وزاد الطين بلّة أن الأحاديث الموضوعة راجت وكثرت، حتى كادت تطغى على الأصيلة، «فالعملة الرديئة تطرد العملة الجيدة من السوق» [50]،فبقيتُ هكذا إلى أنْ من الله عليها بقراءة مقدمة العلامة محمود أحمد شاكر على تفسير الطبري رحمه الله وبين فيه منهجه في التفسير فكانت هذه المقدمة بمثابة عملية إنقاذ لي أو إن شئت أن تقول بمثابة المفتاح للقفل المسمى = جامع البيان ، وبعد ذلك وجدت كثيرا من الإخوة والأخوات وقع فيما وقعت فيه فكنت أُحيلهم إلى مقدمة العلامة محمود شاكر فيتسأنسون بها .

أما موقف الطبري من هذه الروايات ككل فبينه عبد المنعم النمر فقال = لقد كان الطبرى يورد هذه الروايات، وهو عالم بما فيها من تناقض أو كذب أو ضعف، ثم ينقدها أحيانا، ويأتي أيضا بالكثير منها ويتركها بلا نقد ، وبعض النقاد يذهبون إلى تبرئة ساحة أبى جعفر من النقد، لسياقه هذه الروايات دون نقدها، قائلين إنه ذكر لك السند، وعليك أنت أن تبحث عن صحته أو كذبه أو ضعفه .. الخ، راوين العبارة المشهورة بين علماء الحديث (من أسند لك فقد حملك) يعنون أن من ذكر لك سند الرواية فقد برئت ذمته، وحملك أنت مسئولية البحث عن صحته .. [51].

فازداد فهمي أكثر لهذا التفسير لما اطلعت قبل عامين تقريبا على كتاب " التفسير والمفسرون " للدكتور محمد الذهبي 1398 هـ ، وكتاب " مناهج المفسرين " لمنيع عبد الحليم 1430 هـ ، وحصَّلت كتبا أخرى عن الطبري ومنهجيتُه في التفسير فأزيل بحول الله تلك الحشبة التي كانت على عيني فأبصرت جيدا ، لذلك قلت بأن الله قد من علي بالتحدث عن الطبري وتفسيره القيم هذا .

---

[50]- علم التفسير – عبد المنعم النمر 1991 هـ ، ط : دار الكتب الإسلامية 1405 هـ ، ص 83 .

[51]- علم التفسير كيف نشأ وتطور – لعبد المنعم النمر 1991 هـ ، طبعة دار الكتب الإسلامية 1405 هـ ص112 .

شبكة الألوكة www.alukah.net

وطبعا مما لا يدع مجالا للشك بأن أهل مكة أدرى بشعابها ، والطبري هو الأدرى بما في كتابه وصاحب الدار أدرى بمن فيها ، وقد ترك لنا صاحب الدار تقديما تلألأ به تفسيره يرجع إليه الطالب الباحث ، وسوف نقف عليها في هذا البحث لنتعرف على منهجيته رحمه الله ،هذا وقد اختزل هذه المقدمة ياقوت الحموي فقال في كتابه = "كتاب التفسير كتاب ابتدأه بخطبة ورسالة [في] التفسير تدل على ما خصّ الله به القرآن العزيز من البلاغة والاعجاز والفصاحة التي نافى بها سائر الكلام، ثم ذكر من مقدمات الكلام في التفسير، وفي وجوه تأويل القرآن وما يعلم تأويله، وما ورد في جواز تفسيره ، والكلام في قول النبي صلى الله عليه وسلم أنزل القرآن على سبعة أحرف، وبأي الألسنة نزل، والرد على من قال إن فيه أشياء من غير الكلام العربي، وتفسير أسماء القرآن والسور، وغير ذلك مما قدمه، ثم تلاه بتأويل القرآن حرفا حرفا، فذكر أقوال الصحابة والتابعين ومن بعدهم من تابعي التابعين وكلام أهل الإعراب من الكوفيين والبصريين، وجملا من القراءات، واختلاف القراءة فيما فيه من المصادر واللغات والجمع والتثنية، والكلام في ناسخه ومنسوخه، واحكام القرآن والخلاف فيه والردّ عليهم من كلام أهل النظر فيما تكلم فيه بعض أهل البدع، والرد عليهم على مذاهب أهل الإثبات ومبتغي السنن، إلى آخر القرآن [52] .

أما مصادره في هذا التفسير فكانت لشيوخه والمسانيد التي وصلت إليه كابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد بن جبْر وقتادة بن دِعامة والحسن البصري وعكرمة مولى ابن عباس والضحاك بن مزاحم وعبد الله بن مسعود وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وابن جريج ومقاتل بن سليمان وغير ذلك من مفسري الصحابة والتابعين.

وكان رحمه الله لا يرجع إلى مقاتل بن سليمان المتروك ولا محمد بن السائب الكلبي الضعيف ولا محمد بن عمر بن واقد السلمي الواقدي الهالك المتروك في تفسيره إلا لما يأتي للتاريخ والسير ، وقد أتوا بالويلات التي ترتعد لها جلود البشر وتصدع لها قمم الجبال ، لكن معظم ما في تفسير الطبري مأخوذ من كتب السنن ذات الروايات والأحاديث والآثار في التفسير .

أما في اللغة والمعاني فقد اعتمد على كتاب علي بن حمزة الكِسائي وهو أحد القراء وكان ذا باع في النحو والصرف ، واعتمد كتاب الفرَّاء وهو يحيى بن زياد وكان من ابرع الكوفيين وأعلمُهم في النحو واللغة وفنوف الأدب وأيضا اعتمد على كتاب أبي الحسن سعيد الأخفش وهو أحد النحاة البصريين وكان من ائمة اللغة العربية ، وكذا اعتمد على كتاب قُطرب بن المستنير النحوي البصري صاحب التصانيف المشهورة [53] .

وأخذ الطبري من كتب تابعي التابعين من علماء التفسير في القرن 2 الهجري كتفسير سفيان بن عيينة وشعبة بن الحجاج ، والأمير عبد الرزاق الصنعاني ، واسحاق بن راهويه وسعيد بن بشير وأبي بكر بن أبي

---

[52] – معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب ، لياقوت الحموي 626 هـ ، ط : مكتبة دار الغرب 1414 هـ ، 6 / 2454

[53] - معجم الأدباء 18 / 64 بتصرف .

شبكة الألوكة www.alukah.net

شيبة صاحب المصنف وغير ذلك من أهل التفسير ،وفيهم قال السيوطي رحمه الله " فَهَؤُلَاءِ قُدَمَاءُ الْمُفَسِّرِينَ وَغَالِبُ أَقْوَالِهِمْ تَلَقَّوْهَا عَنِ الصَّحَابَةِ ثُمَّ بَعْدَ هَذِهِ الطَّبَقَةِ أُلِّفَتْ تَفَاسِيرُ تَجْمَعُ أَقْوَالَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ " [54] .

هذا وإن منهجيته تتجلي أيضا في تسطيره لمقدمة ممهدة لتفسيره حتى تكون نورا يستهدي بها قارئ أو دارس تفسيره وليؤمن له الفهم السليم ويضمن المناعة من الإنحراف فيه قصدا أو بدون قصد ويجتث العبث منه ، ليقدم لنا منهجية خالصة عبر عنها محمد محمود الحلبي في كلمة الناشر للطباعة الثالثة باختصار فقال " هو تفسير ذو منهج خاص يذكر الآية أو الآيات من القرآن ثم يَعْقُبها بذكر اشهر الأقوال التي أُثرت عن الصحابة والتابعين من سلف الأمة في تفسيرها ثم يورد بعد ذلك روايات أخرى متفاوتة الدرجة في الثقة والقوة في الآية كلها أو في بعض أجزائها بناء على خلاف في القراءة أو اختلاف في التأويل ثم يُعقِّب على كل ذلك بالترجيح بين الروايات واختيار أَوْلاها بالتقدمة وأحقها بالإيثار ثم ينتقل إلى آية أخرى فينهج نفس المنهج : عارضا ، ثم ناقدا ثم مرجحا ، وهو إذ ينقُدُ أو يرجح يردُّ النقد أو الترجيح إلى مقاييس تاريخية من حال السند في القوة والضعف أو إلى مقاييس علمية وفنية من الإحتكام إل اللغة التي نزل فيها الكتاب ونصوصها واقوال شعرائها ومن نقد القراءة وتوثيقها أو تضعيفها ومن رجوع إلى ما تقرر بين العلماء من أصول العقائد أو أصول الأحكام أو غيرهما من ضروب المعارف التي أحاط بها ابن جرير وجمع فيها مادة لم تجتمع لكثير من غيره من كبار علماء عصره [55] ، فهذا مقال مختزل بين فيه الحلبي رحمه الله منهجية شيخ المفسرين في تفسيره .

أما إذا جئنا لفحص منهجية الطبري في آيات القرآن نجده يقسمها إلى ثلاثة اصناف ويسميها رحمه الله بالأوجه ، الوجه الأول ما أنزله الله من الآيات ولا يعلم تأويلها إلا هو ، والوجه الثاني الآيات التي أنزلها الله على نبيه صلى الله عليه وسلم وكلفه بتفسيرها وبيانها وخصه دون سائر أمته بعلم تأويلها ، والوجه الثالث الآيات التي نزلت ويعلم تفسيرها صاحب اللسان العربي الفصيح العارف بدلالات الألفاظ ، وما ألفوه من الإستعمال فيما بينهم ، ومما تداولوه من أشعار العرب .

وتجنب رحمه الله التفسير بالرأي الذي لا دليل عليه ، وبوب بابا في تفسيره فسماه **ذكر بعض الأخبار التي رُويت بالنهي عن القولِ في تأويل القرآن بالرَّأي** ، وجاء بكثير من الأحاديث كلها عن عبد الأعلى بن عامر الثعلبي وقد تكلموا فيه ، وفي الهامش ص 78 من المجلد الأول قال محمود شاكر رحمه الله تدور هذه الأحاديث كلها على عبد الأعلى بن عامر الثعلبي، وقد تكلموا فيه. "قال أحمد: ضعيف الحديث. وقال أبو زرعة: ضعيف الحديث، ربما رفع الحديث وربما وقفه. وقال ابن عدي: يحدث بأشياء لا يتابع عليها، وقد حدث عنه الثقات. وقال يعقوب بن سفيان: في حديثه لين وهو ثقة. وقال الدارقطني: يعتبر به. وحسن له الترمذي، وصحح له

---

[54]– الإتقان في علوم القرآن – لجلال الدين السيوطي 911 هـ ، طبعة الهيئة المصرية العامة ، سنة 1394 هـ ، 4 / 242 .

[55]– مقدمة تفسير الطبري – 1/ 4 ، والإمام الطبري شيخ المفسرين ص 122 .

شبكة الألوكة www.alukah.net

الحاكم، وهو من تساهله. وصحح الطبري حديثه في الكسوف". تهذيب التهذيب 6: 94- 95. وقد روى أحمد هذا الحديث من طريق سفيان الثوري عن عبد الأعلى: 2069، ورواه أيضًا من طريق أبي عوانة عن عبد الأعلى رقم: 3025، بلفظ: "من كذب على القرآن بغير علم". وقلنا في شرح المسند: "إسناده ضعيف لضعف عبد الأعلى الثعلبي" ورواه أحمد أيضًا من أوجه أخر، كلها من رواية عبد الأعلى. وقال ابن كثير في التفسير 1: 11: "هكذا أخرجه الترمذي والنسائي من طرق عن سفيان الثوري، به. ورواه أبو داود عن مسدد عن أبي عوانة عن عبد الأعلى، به، مرفوعًا وقال الترمذي: هذا حديث حسن". وأخشى أن يكون قول ابن جرير بعد: "وهذه الأخبار شاهدة لنا على صحة ما قلنا ... "، دالًّا على أنه يصحح حديثه هذا كما صحح حديثه في الكسوف.

أما قول الترمذي بأنه حديث حسن فلا يعتبر بقوله لأن الألباني تعقبه بقوله الحديث ضعيف .

وعلى كل حال هذا مذهب شيخ المفسرين في الحديث وكما قال شيخنا محمود شاكر ربما صحح هذا الحديث وإن كان ضعيفا في السند فالمتن ربما صحيح والله أعلى وأعلم .

ومن منهجيته رحمه الله في التفسير أيضا أنه إذا أراد أن يفسِّر الآية من القرآن يقول: "القول فى تأويل قوله تعالى كذا وكذا" ثم يفسِّر الآية ويستشهد على ما قاله بما يرويه بسنده إلى الصحابة أو التابعين من التفسير المأثور عنهم فى هذه الآية، وإذا كان فى الآية قولان أو أكثر، فإنه يعرض لكل ما قيل فيها، ويستشهد على كل قول بما يرويه فى ذلك عن الصحابة أو التابعين.

ثم هو لا يقتصر على مجرد الرواية، بل نجده يتعرض لتوجيه الأقوال، ويرجح بعضها على بعض، كما نجده يتعرض لناحية الإعراب إن دعت الحال إلى ذلك، كما أنه يستنبط الأحكام التى يمكن أن تؤخذ من الآية، مع توجيه الأدلة وترجيح ما يختار [56] ، وكذا يلتزم بذكر الإسناد ولا يهمله أبدا فكل رواية أوردها في تفسيره هذا فإنما هي مسندة ليخرج بذلك من دائرة العتاب العلمي كما يقولون من أسند لك فقد حملك ، وترك لك الحكم على الرواية بنفسك .

ولأجل هذا العمل الذي قام به الطبري من الرواية بالإسناد ظن أهل العلم بأن تفسيره أحسن مثال على التفسير بالمأثور [57]، والمدقق في تفسير الطبري رحمه الله وفي عباراته وترجيحه واختياره ومنهجه في ذكر الروايات وما يَعْقُبها من محاكمة للأسانيد ومحاكمة للمتون والإتيان بالدلالات اللغوية والإستشهادات الشعرية

---

[56]- التفسير والمفسرون – للذهبي 1398 هـ ، طبعة مكتبة وهبة القاهرة ، ص 151 .

[57] - التفسير والمفسرون – للذهبي 1 / 112 .

شبكة الألوكة www.alukah.net

والحديثية والرجوع إلى أقوال النحويين يتأكد له بأن هذا ليس تفسيرا بالمأثور بل هو شامل للمأثور والرأي المعتمد بالحجج والأدلة والإستنباط والإستدلال [58].

وفيه أيضا استعان الطبري رحمه الله بالروايات التاريخية كأخبار الأمم السالفة وأدرج تحتها كتل من الروايات الاسرائيلية منها ما يطعن في الأنبياء حتى ، كقصة داوود مع الملكين الذين تسوروا المحراب وقصة النبي صلى اله عليه وسلم وزواجه بزينب بنت جحش فأدرج روايات عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم تندى له الجبين ويعرف ظاهر كذب هذه الروايات من غير النظر في سندها، واسرائيليات في قصة سليمان واسرائيليات في قصة هاروت وماروت ، وفي بعض الأحيان يتعقب هذه الروايات بالتضعيف وأحيانا لا ، قال ابن تيمية في مجموع الفتاوى عن الروايات الإسرائيلية في مجموع الفتاوى 151/15: { دَخَلَ كَثِيرٌ مِنْ أَقْوَالِ أَهْلِ الْكِتَابِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى فِي طَائِفَةٍ هُمْ أَمْثَلُ مِنْ هَؤُلَاءِ إذْ أَهْلُ الْكِتَابِ كَانُوا خَيْرًا مِنْ غَيْرِهِمْ. وَلَمَّا فَتَحَ الْمُسْلِمُونَ الْبِلَادَ كَانَتْ الشَّامُ وَمِصْرُ وَنَحْوُهُمَا مَمْلُوءَةً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ النَّصَارَى وَالْيَهُودِ فَكَانُوا يُحَدِّثُونَهُمْ عَنْ أَهْلِ الْكِتَابِ بِمَا بَعْضُهُ حَقٌّ وَبَعْضُهُ بَاطِلٌ؛ فَكَانَ مِنْ أَكْثَرِهِمْ حَدِيثًا عَنْ أَهْلِ الْكِتَابِ كَعْبُ الْأَحْبَارِ. وَقَدْ قَالَ مُعَاوِيَةُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - مَا رَأَيْنَا فِي هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يُحَدِّثُونَا عَنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أَصْدَقَ مِنْ كَعْبٍ وَإِنْ كُنَّا لَنَبْلُو عَلَيْهِ الْكَذِبَ أَحْيَانًا. وَمَعْلُومٌ أَنَّ عَامَّةَ مَا عِنْدَ كَعْبٍ أَنْ يَنْقُلَ مَا وَجَدَهُ فِي كُتُبِهِمْ وَلَوْ قَلَ نَاقِلٌ مَا وَجَدَهُ فِي الْكُتُبِ عَنْ نَبِيِّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَكَانَ فِيهِ كَذِبٌ كَثِيرٌ فَكَيْفَ بِمَا فِي كُتُبِ أَهْلِ الْكِتَابِ مَعَ طُولِ الْمُدَّةِ وَتَبْدِيلِ الدِّينِ وَتَفَرُّقِ أَهْلِهِ وَكَثْرَةِ أَهْلِ الْبَاطِلِ فِيهِ. وَهَذَا بَابٌ يَنْبَغِي لِلْمُسْلِمِ أَنْ يَعْتَنِيَ بِهِ وَيَنْظُرَ مَا كَانَ عَلَيْهِ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِينَ هُمْ أَعْلَمُ النَّاسِ بِمَا جَاءَ بِهِ وَأَعْلَمُ النَّاسِ بِمَا يُخَالِفُ ذَلِكَ مِنْ دِينِ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمَجُوسِ وَالصَّابِئِينَ. فَإِنَّ هَذَا أَصْلٌ عَظِيمٌ. وَلِهَذَا قَالَ الْأَئِمَّةُ -كَأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ وَغَيْرِهِ - أُصُولُ السُّنَّةِ هِيَ التَّمَسُّكُ بِمَا كَانَ عَلَيْهِ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ } ، ونحن نظن بشيخنا الطبري خيرا إذ أنه كما قال الشيخ محمود شاكر في مقدمته على التفسير " ولمَّا رأيتُ أن كثيرًا من العلماء كان يعيبُ على الطبري أنه حشَدَ في كتابِهِ كثيرًا من الرواية عن السالفين، الذين قرأوا الكُتُب، وذكروا في معاني القرآنِ ما ذكروا من الرواية عن أهل الكتابَيْن السالِفَيْن: التَّوراة والإنجيل - أحببتُ أن أكشف عن طريقة الطبري في الاستدلال بهذه الرواياتِ روايةً روايةً، وأبيّن كيف أخطأ الناسُ في فهم مقصده، وأنّه لم يَجْعل هذه الروايات قطُّ مهيمنةً على كتاب الله الذي لاَ يأتيه الباطل من يديه ولا من خلفه. وأحببتُ أن أبيّن عند كُلِّ روايةٍ مقالة الطبريّ في إسنادِها، وأنه إسنادٌ لاَ تقوم به حُجَّةٌ في دين الله، ولا في تفسير كتابه، وأن استدلاله بها كان يقوم مقام الاستدلالِ بالشِّعر القديم، على فهم معنى كلمة، أو للدلالة على سياقِ جملة "[59] .

---

[58] قال عبد المنعم النمر = فالذين يفهمون إذن أن تفسير الطبرى من التفسير بالمأثور، بسبب كثرة الروايات الواردة فيه، غير دقيقين فى الفهم، لأنه لم يتقيد بهذه الروايات ولم يكن أسيرا لها ... { علم التفسير كيف نشأ وتطور ص 120 } .

[59] – مقدمة محمود شاكر على تفسير الطبري ص16 – 17 .

شبكة الألوكة www.alukah.net

لأن تفسير الطبري لم يكتب للعامة بل لما كان الطبري رحمه الله يملي تفسيره كان أمامه جهابذة العلماء في الحديث ونقد الرجال ولم يكونوا مبتدئين ولا عاميين .

كما أننا نجد الطبري يحتكم للشاهد الشعري وخصوصا الشعر القديم ، من ذلك قوله تعالى " وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ " فيأتي ويقول = فالفصيح من كلام العرب فيما جاء من المصادر على" الفَعلان" بفتح" الفاء"، تحريك ثانيه دون تسكينه، كما وصفت من قولهم:" الدَّرَجَان" و" الرَّمَلان"، من" درج" و"رمل"، فكذلك" الشنآن" من" شنئته أشنَؤُه شنآنًا"، ومن العرب من يقول: "شَنَانٌ" على تقدير" فعال"، ولا أعلم قارئًا قرأ ذلك كذلك، ومن ذلك قول الشاعر:

وَمَا العَيْشُ إلا مَا تَلَذُّ وتَشْتَهِي ... وَإنْ لامَ فِيهِ ذُو الشَّنَانِ وَفَنَّدَا

وهذا في لغة من ترك الهمز من" الشنآن"، فصار على تقدير" فعال" وهو في الأصل" فَعَلان"[60].

وعرف على الطبري رحمه الله في هذا التفسير الشامل أنه إذا ذكر الروايات لا يكتفي بتسطيرها فقط بل يتعرض لها بالنقد إذا تبين له أن الرواية مخالفة لظاهر النّص القرآنى. فنراه يتعرض لمجاهد بن جبر عند ما قال فى قوله تعالى فَقُلْنا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خاسِئِينَ قال: مسخت قلوبهم ولم يمسخوا قردة، وإنما هو مثل ضربه الله لهم كمثل الحمار يحمل أسفارا، فيردّ ابن جرير قول مجاهد هذا فيقول: وهذا القول الذي قاله مجاهد، قول لظاهر ما دل عليه كتاب الله مخالف. أو يرجح بين قولين فيختار أحدهما دون الآخر كما فى قوله تعالى: تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ فيها قولان، ولكل قول منها روايات : الأول: أنا أول المؤمنين بك من قومي أن لا يراك فى الدنيا أحد إلا هلك. فيأتي الطبرى بأسانيده على ذكر من قال ذلك وهم: أبو العالية، والربيع، ومجاهد، وابن عباس، الثانى: أنا أول المؤمنين بك من بنى إسرائيل. فيذكر أن ذلك قول عكرمة، ومجاهد فى رواية أخرى عن ابن عباس. ثم يختار الطبرى القول الثانى ويعلل هذا الاختيار بقوله: «لأنه كان قبله فى بنى إسرائيل مؤمنون وأنبياء منهم من ولد إسرائيل لصلبه، وكانوا مؤمنين وأنبياء فلذلك اخترنا القول الذى قلناه قبل» ، وكذا وقوفه كثيرا عند الآيات التى تتناول الحلال والحرام، وتعنى بالمسائل الفقهية، فيذكر عندها آراء الفقهاء. وتظهر فى العرض لهذه المسائل ملكة الاجتهاد عنده، فيختار الرأي الراجح، أو يخلص هو إلى رأى بنفسه، ويسوق الأدلة العلمية عليه هذا إلى جانب تعرضه لمسائل تخص علم الكلام والجدل، كما أنه يقف فى وجه من يتصدى لتفسير الآيات بالرأي المجرد، ويصفه بالخلوّ عن العلم .

كما أننا نجده قد اعتنى بذكر القراءات التي احتملها القرآن وأجاد فيها رحمه الله وكان إذا وصل لآية قرآنية ذكر أوجه القراءة التي تحتملها ، لأنه كان عالما بها وألف فيها كتابا بلغ 17 مجلد ، وفي تفسيره هذا نجده يقف أمام

[60]- تفسير الطبري 9 / 487 .

شبكة الألوكة www.alukah.net

الآيات التي لها وجهان أو ثلاثة فإنه يذكرها ويذكر الأدلة التي تقويها كما يذكر القراءات الأخرى ثم يرجح إحداها أو يساوي بينها أو يبرز ما تمتاز به إحداها على الأخرى كما فعل في قوله تعال " **مالك يوم الدين** " فإنه جاء وقال = القرّاء مختلفون في تلاوة (ملك يَوْمِ الدّينِ) . فبعضهم يتلوه " مَلِكِ يَوْمِ الدّينِ "، وبعضهم يتلوه (مَلِكِ يَوْمِ الدّينِ) وبعضهم يتلوه (مالِكَ يَوْمِ الدّينِ) بنصب الكاف ... إلى أن قال بعد ذكر الروايات ... وأولى التأويلين بالآية، وأصحُّ القراءتين في التلاوة عندي، التأويلُ الأول، وهي قراءةُ من قرأ "مَلِكِ" بمعنى "المُلك". لأن في الإقرار له بالانفراد بالمُلك، إيجابًا لانفراده بالمِلْك، وفضيلة زيادة المِلك على المالك ، إذْ كان معلومًا أن لا مَلِك إلا وهو مالكٌ، وقد يكون المالكُ لا ملكًا ، ففضل رواية عن رواية ، بل وعده أهل العلم أنه أنكر الروايات خلال تفضيله بينها وحملوه وزر من أتى بعده من المفسرين وأنكروا الروايات المتواترة .

أما من الناحية العقائدية فالباحث في تفسير الطبري يرى أن صاحبه تعرّض لبعض النواحي الكلامية عند كثير من آيات القرآن الكريم، بما يشهد لعلمه الممتاز في أمور العقيدة، فهو يناقش بعض الآراء الكلامية بإجادة وقوة، موافقا لأهل السنة في آرائهم، متصديا للرد على المعتزلة في كثير من آرائهم الاعتقادية، فنراه مثلا يجادلهم مجادلة حادّة في تفسيرهم العقلي التنزيهي للآيات التي تثبت رؤية الله عند أهل السنّة كما نراه يذهب الى ما ذهب اليه السلف من عدم صرف آيات الصفات عن ظاهرها، مع المعارضة لفكرة التجسيم والتشبيه، والرد على أولئك الذين يشبهون الله بالانسان.

قالوا عن هذا التفسير :

قال **أبا بكر بن بالوية** أن **أبو بكر محمد بن إسحاق** يعني **ابن خزيمة** قال لي بلغني أنك كتبت التفسير عن محمد بن جرير قلت بلى كتبت التفسير عنه إملاء قال كله قلت نعم اقال في أي سنة قلت من سنة ثلاث وثمانين إلى سنة تسعين قال فاستعاره مني أبو بكر فرده بعد سنين ثم قال لي قد نظرت فيه من أوله إلى آخر وما أعلم على أديم الأرض أعلم من محمد بن جرير ولقد ظلمته الحنابلة[61] .

قال **ابن الساعي** = صنّف كتاب تفسير القرآن الكريم في مائة مجلّد ، ذكر فيه أحكام القرآن، وناسخه ومنسوخه، ومشكله، وغريبه، ومعانيه، واختلاف أهل التأويل والعلماء في أحكامه وتأويله، وإعراب حروفه،

[61]- تاريخ دمشق لابن عساكر ، 52 / 196 .

شبكة الألوكة www.alukah.net

والكلام على الملحدين فيه، والقصص، وأخبار الأمم، وغير ذلك ممّا حواه من الحكم والرأي كلمة كلمة، وأبان حتّى لو تصدّى عالم أن يصنّف عنه[62].

وقال **أبو الحسن القفطي** = الذى لم ير أكبر منه ولا أكثر فوائد [63].

وعَن **أبي حامد الفقيه** أنه قال: لو سافر رجل إلى أقصى الصين حتى يحصل تفسير ابن جرير لم يكن كثيرا[64].

وقال **النووي** رحمه الله كتاب فى التفسير لم يصنف أحد مثله [65].

وقال **السيوطي** رحمه الله = فإِنْ قُلْتَ: فَأَيُّ التَّفَاسِيرِ تُرْشِدُ إِلَيْهِ وَتَأْمُرُ النَّاظِرَ أَنْ يُعَوِّلَ عَلَيْهِ! قُلْتُ تَفْسِيرُ الْإِمَامِ أَبِي جَعْفَرِ بْنِ جَرِيرٍ الطَّبَرِيّ الَّذِي أَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ الْمُعْتَبَرُونَ عَلَى أَنَّهُ لَمْ يُؤَلَّف فِي التَّفْسِيرِ مِثْلُهُ [66].

قال **شيخ الإسلام ابن تيمية** رحمه الله = وَأَمَّا التَّفَاسِيرُ الَّتِي فِي أَيْدِي النَّاسِ فَأَصَحُّهَا تَفْسِيرُ مُحَمَّدِ بْنِ جَرِيرٍ الطَّبَرِيّ فَإِنَّهُ يَذْكُرُ مَقَالَاتِ السَّلَفِ بِالْأَسَانِيدِ الثَّابِتَةِ وَلَيْسَ فِيهِ بِدْعَةٌ وَلَا يَنْقُلُ عَنْ الْمُتَّهَمَيْنِ مُقَاتِلِ بْنِ بُكَيْرٍ وَالْكَلْبِيِّ [67].

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

---

[62]– الدر الثمين في اسماء المصنفين لتاج الدين بن الساعي 674 هـ ، ص 92 .

[63]– إنباه الرواة على أنباه النحاة – لجمال الدين القفطي 646 هـ ، 3 / 89 .

[64]– لسان الميزان – لابن حجر المجلد 7 الراوي رقم 6579

[65]– تهذيب السماء واللغات – للنووي 676 هـ ، طبعة دار الكتب العلمية ، 1 / 78 .

[66]– الإتقان في علوم القرآن – للسيوطي 911 هـ ، طبعة الهيئة المصرية العامة 1394 هـ ، 4 / 244 .

[67]الفتاوى الكبرى – لتقي الدين ابن تيمية الحراني 728 هـ ، طبعة دار الكتب العلمية ، 5 / 84 .

شبكة الألوكة www.alukah.net

صور لبعض أغلفة الكتب المعتمدة في البحث :

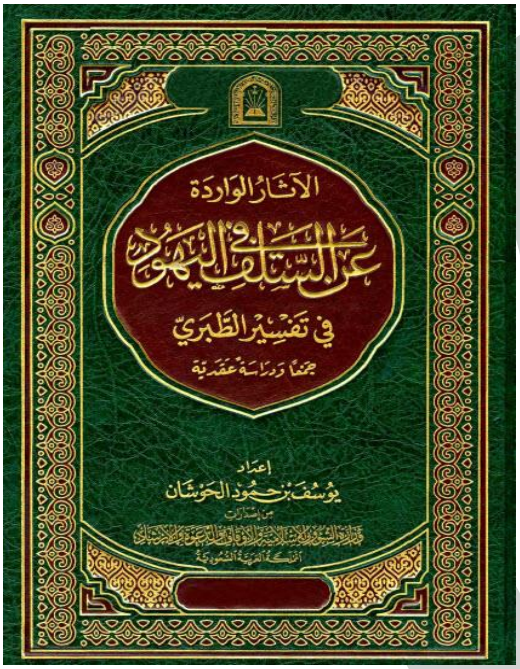

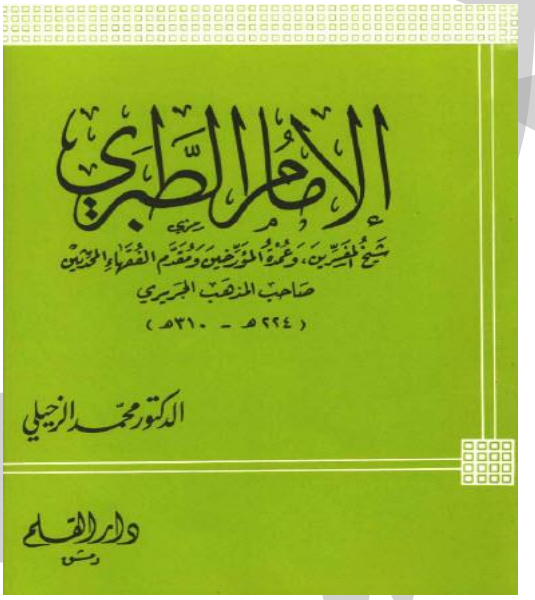

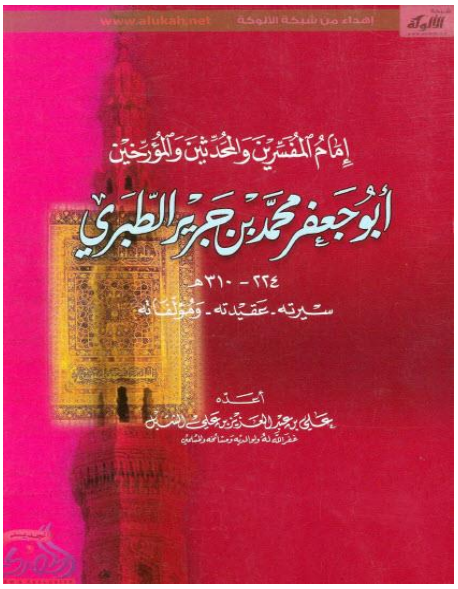

شبكة الألوكة
www.alukah.net

هذا الكتاب منشور في